تموز 2026 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 14
July 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 14
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

البنية الصوتية وأثرها في بناء الدلالة في سورة القلم: دراسة صوتية دلالية في ضوء العلاقة بين الإيقاع والمعنى

م.د. ندى صالح يوسف
التخصص العام/ اللغة العربية
التخصص الدقيق/اللغة(علم الأصوات)
Nada.s.yousif@aliraqia.edu.iq
الجامعة العراقية / كلية الاعلام

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن العلاقة العضوية بين البنية الصوتية والبناء الدلالي في سورة القلم، انطلاقًا من فرضية أن اختيار الأصوات في الخطاب القرآني لا يخضع للمصادفة، بل يخضع لتناسب دقيق بين جرس اللفظ ومضمونه. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الظواهر الصوتية البارزة في السورة، كالتكرار الصوتي، والتضعيف، وتوزيع الأصوات المجهورة والمهموسة، والأصوات الشديدة والرخوة، وأثر ذلك كله في رسم الصورة الدلالية للمشاهد القرآنية، وبخاصة قصة أصحاب الجنة. وتوصل البحث إلى أن السورة وظّفت نظامًا صوتيًا متماسكًا أسهم في تكثيف الدلالة وتجسيد المعاني النفسية والحسية، بما يؤكد أن الصوت في القرآن الكريم عنصر دلالي أصيل لا زخرفة عرضية.

الكلمات المفتاحية: البنية الصوتية؛ الدلالة؛ سورة القلم؛ الدراسات الصوتية الدلالية؛ الإعجاز الصوتي.

Phonetic Structure and Its Role in Constructing Meaning in Sūrat al-Qalam: A Phonetic-Semantic Study

Assistant Professor, PhD Nada Saleh Yousif
General Specialty: Arabic Language
Specific Specialty: Language (Phonetics)
nada.s.yousif@aliraqia.edu.iq
Al-Iraqia University / College of Media

Abstract

This study investigates the organic relationship between phonetic structure and the construction of meaning in Sūrat al-Qalam, proceeding from the hypothesis that sound selection in Qur'anic discourse is not arbitrary but reflects a precise correspondence between the acoustic quality of an utterance and its semantic content. Adopting a descriptive-analytical method, the study examines salient phonetic phenomena in the sūrah—phonemic repetition, gemination, the distribution of voiced and voiceless sounds, and plosive versus fricative ,consonants—and their role in shaping the semantic imagery of Qur'anic scenes particularly the parable of the owners of the garden. The study concludes that the sūrah employs a coherent phonetic system that intensifies meaning and embodies psychological and sensory content, confirming that sound in the Qur'an is an .authentic semantic element rather than incidental ornamentation

Keywords: phonetic structure; semantics; Sūrat al-Qalam; phono-semantic .studies; phonetic iʿjāz

أولًا: المقدمة

1. أهمية الدراسات الصوتية الحديثة في تحليل النص القرآني

تحتل الدراسات الصوتية الحديثة موقعًا متقدمًا بين مناهج تحليل النص القرآني المعاصرة؛ ذلك أن علم الأصوات اللغوي (Phonetics/Phonology) لم يعد بحثًا في المخارج والصفات وحدها، بل غدا أداة إجرائية دقيقة تتيح وصفًا كميًا وكيفيًا للنسق الصوتي، وربطه بمستويات التحليل الأخرى: الصرفي والتركيبي والدلالي والأسلوبي. وقد أسّس لهذا التوجه علماء العربية الأوائل حين فصّل سيبويه مخارج الحروف وصفاتها تفصيلًا دقيقًا[1]، وتعمّق ابن جني في تأمل العلاقة بين جرس اللفظ ومعناه فيما عُرف عنده بظاهرة "شبه الاشتقاق الصوتي"[2] ثم جاء الدرس اللساني الحديث، بمصطلحاته كالنمط الصوتي (Phonological Patterning) والرمزية الصوتية (Sound Symbolism) والتحليل الصوتي الدلالي (Phonosemantic Analysis)، ليمنح هذا الاتجاه أدوات إجرائية أكثر دقة وقابلية للقياس[3] وتزداد أهمية توظيف هذه الأدوات في تحليل النص القرآني تحديدًا؛ لأن القرآن الكريم نصٌّ يتميز ببنية صوتية بالغة الإحكام، يصعب تفسير دقتها بالمصادفة أو بمقتضى السليقة وحدها، بل يستدعي تحليلًا منهجيًا يكشف القوانين الناظمة لتوزيع الأصوات وعلاقتها بالسياقات الدلالية المختلفة.

2. الصوت بوصفه عنصرًا دالًّا لا زخرفًا شكليًا

ينطلق هذا البحث من مسلّمة منهجية مفادها أن الصوت اللغوي في الخطاب القرآني ليس عنصرًا شكليًا أو زخرفيًا مصاحبًا للمعنى، بل هو طرف فاعل في إنتاجه وتوجيه الإيحاء النفسي والحسي المصاحب له. فحين يتكرر صنف صوتي بعينه (شديد أو رخو، مجهور أو مهموس، مستعلٍ أو مستفل) في مقطع قرآني محدد، فإن هذا التكرار لا يكون عبثًا، بل يحمل وظيفة دلالية يمكن رصدها وتفسيرها في ضوء السياق. وقد لمح عبد القاهر الجرجاني إلى هذا المعنى حين ربط النظم بخصائص تتجاوز دلالة المفردة المعجمية إلى "معاني النحو" وما يصاحبها من نسق صوتي وتركيبي[4]، وهو ما يؤسس نظريًا لعدّ البنية الصوتية مكوّنًا من مكوّنات الإيحاء والبيان القرآني، لا تابعًا هامشيًا لهما.

3. مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي: كيف أسهمت الخصائص الصوتية في سورة القلم في تشكيل المعاني والصور الدلالية؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس أسئلة إجرائية: ما أبرز الظواهر الصوتية المطّردة في السورة من حيث الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاستعلاء والاستفال؟ وما طبيعة العلاقة بين تكرار أصوات بعينها والإيقاع العام للسورة؟ وكيف وجّه هذا البناء الصوتي المتلقي نحو إدراك دلالات بعينها في مشاهد السورة المختلفة؟

4. أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

---

[1] سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج4، ص431-435.

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ج2، ص152.

[3] Qudissya, N. S. (2021). The Phonosemantics of the Sibilant Sounds of the Arabic and English Languages. International Journal of Research in Social Sciences and Humanities, 11(3), 427-455.

[4] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، ص42.

1. تحليل الظواهر الصوتية البارزة في سورة القلم تحليلًا وصفيًا دقيقًا يشمل أصناف الأصوات وصفاتها وتوزيعها.
2. الكشف عن العلاقة بين تكرار الأصوات والإيقاع العام للسورة من جهة، وبين هذا التكرار والدلالة السياقية من جهة أخرى.
3. بيان أثر البناء الصوتي في توجيه المعنى، وإسهامه في تعزيز التوكيد والتحذير والتصوير النفسي وإبراز الحركة والانفعال في مشاهد السورة.

وتنطلق هذه الدراسة من أن سورة القلم - وهي من أوائل السور المكية نزولًا - تمثل نموذجًا خصبًا لرصد هذا التناسب الصوتي الدلالي؛ إذ تجمع بين خطاب جدلي موجَّه إلى المشركين المكذبين، وقصة تمثيلية هي قصة أصحاب الجنة، وخاتمة فيها تهديد ووعيد. وهذا التنوع في الأغراض يفرض تنوعًا موازيًا في اختيار الأصوات وتوزيعها، وهو ما يجعل السورة حقلًا تطبيقيًا ملائمًا لاختبار فرضية البحث.

5. منهج البحث وأدواته وحدوده

اعتمد البحث على منهجين متكاملين: الأول، المنهج الوصفي التحليلي، القائم على رصد الظواهر الصوتية في نص السورة وتصنيفها، ثم تحليلها دلاليًا في ضوء معطيات علم الأصوات العربي الحديث[5] وعلم الدلالة، مستعينًا بآراء المفسرين القدامى في تأويل دلالات بعض الألفاظ؛ والثاني، المنهج الأسلوبي الصوتي، الذي ينظر في الانزياحات والتكرارات الصوتية بوصفها اختيارات أسلوبية دالة لا مجرد وقائع نطقية، ويربطها بوظيفتها التعبيرية داخل السياق.

وقد استند البحث في تطبيق هذين المنهجين إلى أربع أدوات إجرائية للتحليل، هي:

1. إحصاء تكرار الأصوات في السورة: بحصر عدد ورود كل صوت من أصوات السورة إحصاءً كميًا دقيقًا، تمهيدًا لتحديد الأصوات ذات النسبة الأعلى ومقارنتها بمتوسط ورودها في الفصيح عمومًا.
2. تحليل مخارج الأصوات وصفاتها: في ضوء تصنيفها إلى مجهورة ومهموسة، وشديدة ورخوة وبينية، ومستعلية ومستفلة، وما يلائم كل صنف من هذه الأصناف من معانٍ ودلالات إيحائية.
3. دراسة الإيقاع والفواصل القرآنية: برصد النمط الصوتي لأواخر الآيات (الفاصلة)، وما يطرأ عليه من اطّراد أو تحوّل، وأثر ذلك في تماسك الإيقاع العام للسورة وتوجيه تلقّيها.
4. ربط الظواهر الصوتية بالسياق الدلالي: بحيث لا تبقى نتائج الإحصاء والتصنيف الصوتي وصفًا مجردًا، بل تُختبر في كل مرة بردّها إلى السياق الذي وردت فيه، للتحقق من اطّراد التناسب بين الصوت والمعنى أو عدمه.

وتقتصر حدود البحث على سورة القلم بكامل آياتها الثانية والخمسين، مع التركيز في التطبيق على المقاطع الأكثر كثافة صوتية، وبخاصة مطلع السورة وقصة أصحاب الجنة وخاتمة الوعيد.

ثانيًا: الإطار النظري للدراسة الصوتية الدلالية

1. مفهوم البنية الصوتية

يُقصد بالبنية الصوتية النظام الذي تترابط بموجبه الأصوات اللغوية ترابطًا يخضع لقوانين توزيعية ونغمية معينة، بحيث تتفاعل الأصوات المفردة (الفونيمات) في تتابعها لتكوّن وحدات أكبر هي المقاطع والكلمات

[5] أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1971م، ص215.

والجمل. وقد عرّف تمام حسان اللغة بأنها "نظام من الرموز الصوتية"[6]، مؤكدًا أن الصوت اللغوي ليس وحدة معزولة، بل عنصر في نظام شامل يرتبط فيه المستوى الصوتي بالمستويين الصرفي والدلالي ارتباطًا وثيقًا.

وقد صنّف علماء الأصوات العربية الحروف بحسب صفاتها إلى مجهورة ومهموسة، وشديدة ورخوة وبينية، وإطباقية وغير إطباقية[7]، وهذا التصنيف هو الأساس الذي تنطلق منه الدراسات الصوتية الدلالية في الكشف عن وظيفة كل صنف من هذه الأصوات في السياقات المختلفة؛ فالأصوات المجهورة، لِما فيها من اهتزاز الوترين الصوتيين، تناسب في الغالب معاني القوة والامتلاء، في حين تناسب الأصوات المهموسة معاني الخفوت والانكسار.

2. مفهوم الدلالة الصوتية وعلاقته بالإعجاز القرآني

تقوم فكرة الدلالة الصوتية على أن للصوت اللغوي - فضلًا عن وظيفته التمييزية بين الكلمات - وظيفة إيحائية تتمثل في إثارة انطباع حسي أو نفسي يتناغم مع المعنى المراد. وقد لمح ابن جني إلى هذا حين تحدث عما سمّاه "امتزاج الصوت بالمعنى"، مستشهدًا بأن في لفظ "الخَضْرَمة" وما شابهها من الكلمات جرسًا يلائم معناها[8] كما أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن النظم لا يقوم على معاني الألفاظ المفردة فحسب، بل على "معاني النحو" وما يصاحبها من خصائص صوتية وتركيبية تتضافر في إنتاج الدلالة الكلية للنص[9]، وهو ما يؤسس نظريًا لفكرة أن البلاغة القرآنية لا تنفصل عن بنيته الصوتية.

وفي الدرس الحديث، ميّز إبراهيم أنيس بين الدلالة الصوتية المباشرة، وهي محاكاة الصوت اللغوي لصوت طبيعي (المحاكاة الصوتية)، والدلالة الصوتية الإيحائية غير المباشرة، وهي ما ينشأ من تناسب صفات الصوت (شدة، رخاوة، جهر، همس) مع طبيعة المعنى المراد، من غير محاكاة حرفية[10] وهذا التمييز هو ما تعتمده هذه الدراسة في مقاربة سورة القلم.

3. الدراسات السابقة

تتوزع الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث على ثلاثة محاور رئيسة، يكشف عرضها مجتمعةً عن الفجوة البحثية التي يسعى هذا البحث إلى معالجتها.

أ. دراسات في الإعجاز الصوتي للقرآن: عُنيت هذه الدراسات بإبراز التناسق الصوتي العام في النظم القرآني بوصفه وجهًا من وجوه الإعجاز البياني، ومن أبرزها جهود إبراهيم أنيس في "الأصوات اللغوية" التي أرست تصنيف الأصوات العربية وصفاتها النطقية أساسًا لكل دراسة لاحقة في هذا الباب[11]، وجهود أحمد مختار عمر في "دراسة الصوت اللغوي" التي ربطت بين الوصف الفيزيائي للصوت ووظيفته البلاغية في النص الفصيح عمومًا[12] وتتسم هذه الدراسات بطابعها العام الذي ينظر إلى ظاهرة الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم إجمالًا، من غير أن تتوقف عند سورة بعينها وقفة إحصائية تفصيلية.

ب. دراسات الأسلوبية الصوتية: وهي دراسات وظّفت مناهج الأسلوبية الحديثة في الكشف عن الخصائص الصوتية المميزة لأسلوب النص القرآني، كدراسة تمام حسان في "البيان في روائع القرآن" التي قاربت

---

[6] حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006م، ص63-65.
[7] عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2007م، ص58.
[8] ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985م، ج1، ص47-49.
[9] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق.
[10] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م، ص163.
[11] أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق.
[12] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.

ظواهر الفاصلة والإيقاع من زاوية أسلوبية وظيفية لا وصفية محضة[13]، ودراسة حسن (Hassan, 2023) التي تناولت تجليات الصورة الصوتية في الخطاب القرآني من منظور نفسي أسلوبي، وكشفت عن العلاقة بين الحركة الصوتية والدلالة في آيات بعينها[14] وتميل هذه الدراسات إلى تحليل كيفي للأثر الجمالي للصوت، أكثر من اعتمادها على إحصاء كمي دقيق لتوزيع الأصوات.

ج. دراسات العلاقة بين الصوت والدلالة: وهي الدراسات الأقرب إلى مبحث هذا البحث، إذ تناولت بصورة مباشرة الرمزية الصوتية (Sound Symbolism) والتحليل الصوتي الدلالي (Phonosemantic Analysis) في العربية والقرآن الكريم؛ فقاربت دراسة قوديسيا (Qudissya, 2021) الدلالة الصوتية للأصوات الصفيرية في العربية والإنجليزية، وبيّنت أن لهذه الأصوات حمولة دلالية إيحائية مشتركة بين اللغتين[15]، بينما خصّصت دراسة روزوف (Rozov, 2019) جانبًا من بحثها للرمزية الصوتية في القرآن الكريم من خلال الجذور الرباعية، مؤكدةً أن المعجم القرآني يحفل بمفردات ذات حمولة صوتية إيحائية واضحة تعكس تصورًا متماسكًا للعالم[16] وعربيًا، تظل أصول ابن جني في "شبه الاشتقاق الصوتي"[17] مرجعية تأصيلية لهذا الاتجاه، وإن جاءت في صورة ملحوظات متفرقة لا دراسة منهجية شاملة لسورة بعينها.

الفجوة البحثية: يتبين من العرض السابق أن الدراسات الثلاثة - على تنوع مناهجها - تتفق في معالجة العلاقة بين الصوت والدلالة معالجة عامة أو كيفية، في حين تظل هناك
قلة واضحة في الدراسات التي تربط التحليل الصوتي الكمي (إحصاء تكرار الأصوات وتوزيعها) بالدلالة السياقية المحددة في سورة قرآنية واحدة بعينها، بحيث يكون الإحصاء مدخلًا إجرائيًا للتأويل الدلالي لا غاية في ذاته. ولم تُفرد سورة القلم تحديدًا - رغم ما تتسم به من تنوع في الأغراض (جدل، قصص، وعيد) يتيح اختبارًا غنيًا لهذه العلاقة - بدراسة صوتية دلالية كمية مستقلة، وهو ما يأتي هذا البحث ليسد جانبًا منه، عبر الجمع بين الإحصاء الصوتي والتحليل السياقي في إطار منهجي واحد.

ثالثًا: التعريف بسورة القلم وسياقها

سورة القلم سورة مكية، وهي - في أرجح الأقوال - ثاني ما نزل من القرآن الكريم بعد أوائل سورة العلق، وعدد آياتها اثنتان وخمسون آية[18] نزلت في فترة اشتد فيها التكذيب من قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاءت السورة لتثبيت النبي ودفع شبهات المكذبين الذين رموه بالجنون، ثم لتمثيل حال المعرضين عن شكر النعمة بقصة أصحاب الجنة، وتختم بتسلية النبي وتثبيته على الحق[19] وهذا التدرج في الأغراض - من خطاب جدلي حادّ، إلى سرد قصصي، إلى خطاب تسلية وتثبيت - هو ما يفسر التنوع اللافت في البنية الصوتية للسورة، إذ يتغير جرس الأصوات بتغير الغرض والمقام.

وتسمية السورة بـ"القلم" مأخوذة من افتتاحها بالقسم به في قوله تعالى "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"، والقلم في أصله اللغوي ما يُكتب به، والسطر مصدره الكتابة المصفوفة المنتظمة من "سطر الكتاب يسطره: كتبه

---

[13] حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 2000م، ص112.

[14] .Hassan, K. A. (2023). Manifestations of the Sound Image in the Quranic Discourse .Journal of Tikrit University for Humanities, 30(11/1), 30-52

[15] .Qudissya (2021), op. cit

[16] Rozov, V. A. (2019). Sound Symbolism in the Qur'an as a Reflection of the Ancient Arab ,Worldview (on the Example of Four-Consonant Roots). Islam in the Modern World, 15(4) .114-101

[17] ابن جني، الخصائص، مرجع سابق.

[18] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج29، ص71-110.

[19] الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج4، ص588-602.

وخطّه"[20] وفي هذا الاشتقاق اللغوي ما يؤكد أن السورة تنفتح منذ مطلعها على معجم دلالي قوامه الكتابة والتدوين والانتظام، وهو ما ينعكس - كما سيأتي بيانه - في انضباط بنيتها الصوتية والإيقاعية انضباطًا يحاكي انتظام الخط المكتوب نفسه.

رابعًا: تحليل البنية الصوتية ودلالاتها في سورة القلم

أولًا: التحليل الصوتي للسورة

يقوم هذا المحور على دراسة إحصائية وصفية لأصوات سورة القلم، بحصر تكرار الحروف في نصها الكامل (1289 حرفًا صامتًا ومدًّا) ثم تصنيفها بحسب صفاتها النطقية الأربع: الجهر والهمس، الشدة والرخاوة، الاستعلاء والاستفال، تمهيدًا لربط هذا التوزيع بجو السورة العام.

1. الأصوات المجهورة والمهموسة: أظهر الإحصاء أن نسبة الأصوات المجهورة في السورة بلغت نحو 67% من مجموع الحروف، في مقابل نحو 21% للأصوات المهموسة (والباقي حروف مد ولين)، وهي نسبة عالية تتجاوز ما هو شائع في النثر الفصيح عمومًا[21] ويتسق هذا الاستعلاء النسبي للجهر مع طبيعة الخطاب الجدلي الحاسم الذي تتسم به السورة في الرد على المكذبين، إذ يميل الجهر - لما فيه من اهتزاز الوترين الصوتيين وقوة الصوت - إلى مناسبة لهجة المواجهة والتوكيد، بخلاف الهمس الذي يناسب الخفوت والتردد.

الصنف الصوتي	عدد التكرارات	النسبة المئوية
مجهورة	859	%66.6
مهموسة	267	%20.7
حروف مد ولين غير مصنّفة	163	%12.7

جدول (1): توزيع الأصوات المجهورة والمهموسة في سورة القلم

2. الشدة والرخاوة: بلغت نسبة الأصوات الشديدة (الانفجارية) نحو 21%، في حين بلغت نسبة الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) نحو 15%، وبقيت النسبة الأكبر لأصوات بينية (كاللام والميم والنون والراء وحروف المد) التي تجمع بين خاصيتي الانحباس والجريان[22] ويلحظ أن الأصوات الشديدة، رغم نسبتها المعتدلة إحصائيًا، تتركز تركزًا لافتًا في مقاطع بعينها (كمشهد العقوبة المفاجئة في قصة أصحاب الجنة)، وهو ما يكشف أن الدلالة لا ترتبط بالنسبة الكمية الكلية وحدها، بل بكثافة التوزيع السياقي للصوت في الموضع الواحد.

الصنف الصوتي	عدد التكرارات	النسبة المئوية
شديدة (انفجارية)	274	%21.3
رخوة (احتكاكية)	193	%15.0
بينية (لام، ميم، نون، راء، مد ولين)	822	%63.7

[20] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة (سطر، قلم، خرطم).
[21] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.
[22] حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق.

جدول (2): توزيع الأصوات بحسب الشدة والرخاوة والبينية في سورة القلم

3. الاستعلاء والاستفال: جاءت نسبة الأصوات المستعلية (خ ص ض ط ظ غ ق) منخفضة نسبيًا، إذ لم تتجاوز 5.5% من مجموع الحروف، في مقابل 94.5% لأصوات مستفلة. وهذا الانخفاض النسبي للأصوات المستعلية يجعل ورودها في مواضع بعينها أكثر دلالة على الإطلاق، لا أقل؛ ذلك أن ندرة الصوت إحصائيًا تجعل كل ورود له ذا وقع أقوى حين يتكرر في سياق محدود، كما في تكرار الطاء في مشهد "فطاف عليها طائف"، حيث يتكثف صوت الإطباق المفخم في آية واحدة خروجًا عن النمط العام المستفل للسورة، فيُحدث بذلك أثرًا صوتيًا مفاجئًا يحاكي مفاجأة الحدث نفسه[23].

الصنف الصوتي	عدد التكرارات	النسبة المئوية
مستعلية (خ ص ض ط ظ غ ق)	71	%5.5
مستفلة (باقي الأصوات)	1218	%94.5

جدول (3): توزيع الأصوات بحسب الاستعلاء والاستفال في سورة القلم

4. تكرار أصوات معينة ودورها الإيقاعي: يكشف إحصاء الحروف المفردة عن تصدّر أربعة أصوات ساكنة لائحة التكرار في السورة، هي: النون (131 مرة)، واللام (129 مرة)، والميم (120 مرة)، تليها أصوات أخرى أقل تواترًا كالقاف (21 مرة). وفيما يأتي بيان دلالة كل صوت من هذه الأصوات ووظيفته الإيقاعية:

الصوت	عدد مرات الورود	النسبة المئوية
النون (ن)	131	%10.2
اللام (ل)	129	%10.0
الميم (م)	120	%9.3
القاف (ق)	21	%1.6

جدول (4): تكرار أصوات (النون، اللام، الميم، القاف) في سورة القلم

يلحظ أن السورة تنتهي بالنون في الأغلب الأعم من فواصلها (يسطرون، ممنون، عظيم... المفتون، المهتدين)، وهذا التصدر الإحصائي لصوت النون - وهو صوت أنفي مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة يخرج بامتداد يسير من الخيشوم - هو ما يمنح السورة جوًّا صوتيًا عامًا من الاتساق والاطّراد، ويُحدث رنينًا متصلًا يصلح أساسًا إيقاعيًا تُبنى عليه الفاصلة القرآنية في معظم آيات السورة[24] أما صوتا اللام والميم، فلكونهما من الأصوات البينية المتكررة في كثير من ضمائر الجمع وصيغ المبالغة (حلّاف، همّاز، مشّاء)، فإنهما يسهمان في خلق نسيج صوتي متصل يربط الجمل القصيرة بعضها ببعض، ويعزّز خاصية التتابع الإيقاعي السريع التي تلائم أسلوب السورة القائم على الجمل القصيرة المتلاحقة. وعلى النقيض من ذلك، يأتي صوت القاف - رغم محدودية تكراره الكمي - في مواضع مفصلية شديدة الدلالة: "القلم" في مطلع السورة، و"الخرطوم" في موضع التهديد، فيكتسب بذلك وزنًا دلاليًا يفوق وزنه الإحصائي؛ إذ يحمل القاف بصفتيه (الانفجار والاستعلاء) معنى الصلابة والثبات والقوة الذي يناسب موضعي وروده: ثبات أداة

[23] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.
[24] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.

الكتابة، وقوة العقوبة وثباتها في آن واحد[25] ويتأكد بهذا أن جو السورة العام - بين هدوء النون المتصل، وتتابع اللام والميم السريع، وصلابة القاف المتكثفة في مواضع الحسم - هو نتاج تضافر هذه الأصوات الأربعة في نسق إيقاعي واحد.

ثانيًا: التحليل السياقي لمشاهد السورة الصوتية

بعد رصد النسق الصوتي العام للسورة إحصائيًا، ينتقل البحث إلى اختبار اطّراد هذا النسق سياقيًا، عبر تتبع توظيف الأصوات في المشاهد المتعاقبة للسورة.

1. الحرف المقطّع "ن" والقسم بالقلم: افتتاحية صوتية موحية

تفتتح السورة بالحرف المقطع "ن"، وهو صوت أنفي مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، يخرج من الخيشوم بامتداد يسير، فيمنح الافتتاحية جرسًا هادئًا متأملًا يناسب مقام التهيؤ للقسم الذي يليه: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ". ثم يأتي القسم بـ"القلم"، وفيه تكرار صوت القاف، وهو صوت انفجاري مهموس مفخم يخرج من أقصى الحلق، يحمل في جرسه قوة وثباتًا تناسبان فعل الكتابة ووثاقة أثرها، ويعقبه صوت اللام المكرر في "وما يسطرون" بصوت السين الصفيري، فيتناغم الجرس الصوتي مع صورة القلم وهو يَخُطُّ ويُسَطِّر، حيث يحاكي تكرار الصفير الخافت حركة الكتابة الدقيقة المتصلة[26].

2. أصوات الجدال والتكذيب: غلبة الشدة والانفجار

في معرض الرد على وصف المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بالجنون، تكثر الأصوات الشديدة الانفجارية كالطاء والتاء والدال والباء، كما في قوله تعالى: "فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ"، حيث يتكرر صوت الباء المجهور الشديد أربع مرات في آيتين قصيرتين، فيضفي على الخطاب نبرة من الحسم والمواجهة تناسب سياق دحض التهمة. ومثل ذلك صوت الطاء المطبق في "وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ"، حيث يتناسب تكرار صوتي الدال والنون مع الدلالة على التكرار والتمادي في طلب المداهنة[27]، إذ يحمل الدال - وهو صوت شديد مجهور - معنى الحَسْم والقطع، بينما يضفي تكرار النون الأنفية إيقاعًا متصلًا يلائم استمرارية الطلب وإلحاحه.

3. الوصف الصوتي لخصال المكذِّب: تراكم الأصوات الانفجارية والصفيرية

يبلغ التناسب الصوتي الدلالي ذروته في الآيات الواصفة لأخلاق المكذِّب: "وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ". ففي "حَلَّافٍ" تضعيف اللام، وفي "هَمَّازٍ" تضعيف الميم، وفي "مَشَّاءٍ" تضعيف الشين، وهذا التضعيف المتوالي على مدى الآيتين ظاهرة صوتية لافتة تحمل دلالة المبالغة في الفعل وتكراره؛ فصيغة "فعّال" الصرفية المضعَّفة تدل في أصلها على الكثرة والتكرار[28]، ويعزز الصوتُ هذه الدلالة الصرفية: فصوت الميم في "همّاز" أنفي مجهور متكرر يحاكي بصورة إيحائية خفوت الهمز والغمز في الخفاء، وصوت الشين الصفيري المهموس في "مشّاء" يحاكي حركة المشي السريع بالنميمة، حيث يلتقي الصفير بدلالة التسلل والانتشار، بينما يأتي صوت الزاي المجهور في "همّاز" والنون والميم في "بنميم" متناغمًا مع الطابع الخفي المتكرر للنميمة وما فيها من انتقال متلوّن بين الناس.

وفي قوله تعالى: "عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ" يتكرر صوت التاء المهموس الشديد في "عُتُلّ" مع تضعيف اللام، فيوحي جرسه الخشن بالغلظة والفظاظة التي يصفها اللفظ نفسه؛ إذ فسّر المفسرون "العُتُلّ" بالجافي الغليظ

[25] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.
[26] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.
[27] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.
[28] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.

الشديد الخصومة[29]، وهو معنى يتناغم مع الصلابة الصوتية لتتابع التاء والطاء واللام المضعّفة، في مقابل صوت الزاي المجهور الرخو في "زنيم" الذي يحمل خفّة نسبية تناسب دلالة الدعيّ الملصَق بالقوم لا منهم.

4. البنية الصوتية في قصة أصحاب الجنة: تصعيد إيقاعي ثم انكسار صوتي

تمثّل قصة أصحاب الجنة (الآيات 17-33) المشهد الأكثر دلالة على وظيفة الصوت في بناء الحدث القصصي درامياً. ففي مطلع القصة: "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ"، يتكرر صوت اللام والميم والنون - وهي أصوات مجهورة متوسطة بين الشدة والرخاوة - في إيقاع متصل هادئ يحاكي اطمئنان أصحاب الجنة الزائف وثقتهم المتعجلة بجَنْيِ ثمارهم، "وَلَا يَسْتَثْنُونَ".

ثم يأتي مقطع العقوبة فجأة بانقلاب صوتي حاد: "فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ"؛ فصوت الطاء المطبق المفخم المكرر ثلاث مرات في "طاف...طائف" صوت شديد ينفجر فجأة، فيحاكي بجرسه القاسي مفاجأة الكارثة وحسم وقوعها، خلافًا للإيقاع الهادئ السابق. ويعقب ذلك صوت الصاد المطبق الصفير في "كَالصَّرِيمِ" الذي يوحي - بما فيه من إطباق وصفير حاد - بصورة الاحتراق والجفاف واسوداد الأرض كالليل المظلم، وهو المعنى الذي ذهب إليه أكثر المفسرين في تأويل "الصريم"[30].

وحين يتحاور أصحاب الجنة بعد الفجيعة، يتكرر صوت الغين والظاء في "إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ"، فتتناسب رخاوة بعض هذه الأصوات وانكسار جرسها مع حالة الذهول والندم التي انتقلوا إليها بعد الثقة الزائفة، في تحول صوتي يرسم - إلى جانب تحول المعنى - منحنى نفسيًا كاملًا للحدث القصصي من الاطمئنان إلى الصدمة فالندم[31].

5. أصوات التهديد والوعيد: الجهر والتفخيم في خاتمة السورة

في قوله تعالى: "سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ" يتكرر صوت السين المهموس الصفير في مقابل تفخيم صوت الراء والطاء في "الخُرطوم"، فيتولد من هذا التضاد الصوتي جرس يحمل دلالة العقوبة المهينة التي تطبع وصمة لا تُمحى، إذ يجمع اللفظ بين خفوت السين الموحي بالخفاء والتسلل وثقل الطاء والراء الموحي بقسوة الأثر ودوامه[32] كما تتكرر في خاتمة السورة أصوات الجهر والتفخيم في وصف اللحظة الأخيرة: "يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ"، حيث يتراكم صوت السين الصفيري المكرر أربع مرات في آية واحدة (يستطيعون، السجود، ساق)، فيخلق جرسًا حادًّا متصاعدًا يناسب هول الموقف وشدة العجز الذي يصوره السياق[33].

6. خلاصة التحليل: نمط التناسب الصوتي الدلالي في السورة

يتبين من التحليل السابق أن البنية الصوتية في سورة القلم ليست عشوائية، بل تخضع لنمط مطّرد من التناسب مع الدلالة: فالأصوات الشديدة الانفجارية (الطاء، الدال، التاء، الباء) تتركز في مقاطع المواجهة والحسم والعقوبة المفاجئة؛ والأصوات الصفيرية (السين، الصاد، الزاي) تتكرر في سياقات التسلل الخفي والوصف الدقيق كالنميمة والكتابة والوصم؛ والأصوات الأنفية المتوسطة (الميم، النون) تهيمن على مقاطع الاطمئنان الهادئ والاستمرارية؛ والتضعيف الصرفي يتضافر مع الجرس الصوتي للدلالة على المبالغة

---

[29] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ج18، ص232-251.

[30] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق.

[31] حسان، البيان في روائع القرآن، مرجع سابق.

[32] أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق.

[33] أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1972م، ص67.

والتكرار. وهذا الاطّراد هو ما يسمح بعدّ البنية الصوتية في السورة عنصرًا فاعلًا في إنتاج الدلالة لا مجرد حلية إيقاعية مصاحبة لها.

خامسًا: البنية الإيقاعية

يكمل هذا المحور التحليل الصوتي بالانتقال من مستوى الصوت المفرد إلى مستوى الإيقاع العام، عبر دراسة نظام الفواصل القرآنية في سورة القلم، وأثر تكرار النهايات الصوتية في تثبيت المعنى وتقوية الانفعال وتوجيه المتلقي.

1. نظام الفواصل القرآنية في سورة القلم

الفاصلة القرآنية ـ كما عرّفها علماء البيان ـ هي الكلمة الأخيرة في الآية، ولها أثر في إيقاع السياق ونظمه[34] وقد كشف الإحصاء التام لأواخر آيات سورة القلم البالغة اثنتين وخمسين آية عن نمط مطّرد لافت: فقد ختمت اثنتان وأربعون آية (بنسبة 80.8%) بصوت النون، في حين ختمت عشر آيات فقط (بنسبة 19.2%) بصوت الميم، ولم يرد في السورة فاصلة بحرف آخر غيرهما البتة. وهذا الاطراد الإحصائي الكامل ـ بانحصار الفاصلة في صوتين اثنين فقط على امتداد السورة كلها ـ يُعَدّ من أبرز ملامح وحدتها الإيقاعية.

حرف الفاصلة	عدد الآيات	النسبة المئوية
النون	42	%80.8
الميم	10	%19.2
المجموع	52	%100

جدول (5): توزيع حروف الفاصلة (أواخر الآي) في سورة القلم

واللافت أن مواضع الفاصلة الميمية العشرة لا تتوزع عشوائيًا، بل تتركز في آيات تحمل وظيفة دلالية مائزة تقطع سياق التتابع السردي العام: ففي الآية الرابعة "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" تأتي الفاصلة الميمية لتختم مقدمة الثناء النبوي بختام حاسم منفرد؛ وفي الآيات (11-13، 20) المتعلقة بوصف خصال المكذِّب وعقوبة أصحاب الجنة (بنميم، أثيم، زنيم، كالصريم) تتكاثف الفاصلة الميمية في نسق متقارب يميز مقطع الذم والعقوبة عن سياقه؛ وفي الآية 16 "الخرطوم" والآيتين 48-49 (مكظوم، مذموم) ترد الفاصلة الميمية في مواضع التهديد والتذكير بقصة صاحب الحوت. وبذلك تتحول الفاصلة الميمية إلى علامة إيقاعية على الانقطاع الدلالي والتحول في مجرى السياق، في حين تظل الفاصلة النونية هي الأصل المهيمن الذي يحمل استمرارية السياق العام للسورة.

2. أثر تكرار النهايات الصوتية

أ. تثبيت المعنى: يسهم التكرار شبه التام لصوت النون في أواخر الآي في تثبيت وحدة الموضوع وربط أجزاء السورة بعضها ببعض، بحيث يشعر المتلقي ـ حتى مع تنقل الخطاب بين الجدل والقصة والوعيد ـ بأنه أمام نسيج صوتي واحد متصل لا يتفكك. وصوت النون، لكونه أنفيًا مجهورًا ذا امتداد يسير، يحدث رنينًا متصلًا (Resonance) يلائم وظيفة "الترسيخ السمعي" للمعنى، إذ يعيد تذكير الأذن في كل آية بالنغمة ذاتها فيرسخ بذلك إيقاع المعنى العام في الذهن قبل تفصيله[35].

---

[34] الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق.

[35] عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق.

ب. تقوية الانفعال: يُحدث الخروج المفاجئ عن الفاصلة النونية إلى الفاصلة الميمية أثرًا انفعاليًا قويًا، لكونه كسرًا للأفق الإيقاعي المتوقع لدى المتلقي؛ فحين تتوالى آيات منتهية بالنون ثم تأتي آية منتهية فجأة بالميم (كما في الانتقال من فاصلة "يستثنون" - النون - إلى "كالصريم" - الميم - في مشهد العقوبة)، فإن هذا الانكسار الإيقاعي يصاحب الانكسار الدلالي للحدث نفسه ويقويه شعوريًا، إذ يتضافر إيقاع الفاصلة مع المعنى المفجع في الإحساس بالمفاجأة والصدمة. وهذا ما يفسر تركز الفاصلة الميمية - رغم قلتها الإحصائية - في أكثر مقاطع السورة شحنًا انفعاليًا (الذم، العقوبة، التهديد).

ج. توجيه المتلقي: يعمل النظام الإيقاعي للفاصلة عمل العلامة التوجيهية (Cue) التي تهيئ أفق توقع المتلقي قبل بلوغ نهاية الآية؛ فاطراد الفاصلة النونية على مدى آيات متتابعة يصنع لدى السامع توقعًا إيقاعيًا يجعله يتهيأ لاستقبال المعنى في إطار من السكينة والاتصال، في حين يعمل ورود الفاصلة الميمية بوصفه مؤشرًا سمعيًا مبكرًا - حتى قبل اكتمال إدراك المعنى - على توجيه انتباه المتلقي إلى أن ثمة تحولًا أو حدثًا مفصليًا يستحق وقفة تأمل خاصة. وبهذا تتحول بنية الفاصلة من وظيفة جمالية إيقاعية محضة إلى أداة توجيهية تشارك في تنظيم تلقي النص وتأويله[36].

سادسًا: الصوت وبناء الدلالة

يجمع هذا المحور خيوط التحليل السابقة (الصوتي والإيقاعي) ليربطها مباشرة بالموضوعات الرئيسة التي تعالجها سورة القلم، ثم يبيّن الوظائف الدلالية الأربع التي يخدمها الاختيار الصوتي عبر هذه الموضوعات مجتمعة.

1. ربط الصوت بالموضوعات الرئيسة في السورة

أ. تثبيت مكانة النبي صلى الله عليه وسلم: في مطلع السورة "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"، يلحظ توظيف صوتي متدرج: فبعد هدوء حرف "ن" الافتتاحي يأتي القسم بصوتي القاف واللام القويين، ثم تتوالى فواصل الآيات الثلاث الأولى بالنون الممتدة المطمئنة (يسطرون، بمجنون، ممنون)، لتنكسر هذه السلسلة فجأة بفاصلة الميم القوية في "عظيم"، فيقع هذا الانكسار الإيقاعي في موضع الذروة الدلالية للمقطع، أي توصيف خلق النبي صلى الله عليه وسلم بالعظمة، فيتضافر الصوت مع المعنى في تثبيت هذه المكانة وإبرازها.

ب. وصف أخلاق المكذبين: في الآيات (10-13) يتكثف التضعيف الصرفي المقترن بالتكرار الصوتي (حلّاف، همّاز، مشّاء، مناع، عتل، زنيم)، فتتوالى أصوات اللام والميم والشين المضعّفة في نسق صوتي كثيف الإيقاع يحاكي بكثرته كثرة الخصال المذمومة ذاتها وتراكمها في الموصوف الواحد، حتى يبدو الصوت في هذا المقطع وكأنه يعدّد العيوب عدًّا متلاحقًا لا فكاك منه.

ج. قصة أصحاب الجنة: يتجلى الربط الصوتي الموضوعي في هذه القصة بأوضح صوره؛ إذ ينتقل البناء الصوتي عبر مراحلها الثلاث (الثقة الزائفة، فالعقوبة المفاجئة، فالندم) من هيمنة الأصوات البينية الهادئة (اللام والميم والنون) في مطلع القصة، إلى الانفجار المفاجئ لصوت الطاء المكرر في لحظة وقوع العذاب "فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ"، إلى انكسار الجرس في حواراتهم المتلاومة بعد ذلك. وهذا التدرج الصوتي الثلاثي يوازي البنية السردية للقصة موازاة دقيقة، بحيث يصبح الصوت أداة سرد موازية للحدث لا مصاحبًا خارجيًا له.

د. مشاهد التهديد والجزاء: في خاتمة السورة، يتكرر التوظيف الصوتي القائم على التضاد بين خفوت السين الصفيرية وثقل الأصوات المفخمة، كما في "سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ"، وفي تراكم السين أربع مرات في آية

[36] حسان، البيان في روائع القرآن، مرجع سابق.

"يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ" المصحوبة بفاصلة الميم في الآيات المجاورة (40: زعيم)، فيتشكل بذلك جو صوتي عام من الترقب والوعيد يلائم موضوع الجزاء الأخروي.

2. الوظائف الدلالية التي يخدمها الاختيار الصوتي

أ. التوكيد: يخدم تكرار الأصوات المجهورة الشديدة (كالباء والدال) في سياقات الرد على المكذبين وظيفة التوكيد، كما في تكرار الباء في "فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ"؛ فقوة جرس هذه الأصوات تضفي على نفي تهمة الجنون طابعًا حاسمًا قاطعًا، وتعزز معنى التوكيد الذي تحمله أداة التوكيد "إنّ" ولام القسم في السياق نفسه[37].

ب. التحذير: تخدم الأصوات المستعلية المفخمة، رغم ندرتها الإحصائية في السورة (5.5% كما سبق بيانه)، وظيفة التحذير حين تتكثف في مواضع بعينها؛ فصوت الطاء في "طاف...طائف" وصوت القاف في "الخرطوم" يحملان من الثقل النطقي ما يناسب مقام التحذير من سوء العاقبة، ويهيئان المتلقي نفسيًا لتلقي الإنذار قبل اكتمال المعنى المعجمي للفظ.

ج. التصوير النفسي: يوظَّف التحول الصوتي في رسم الحالة النفسية للشخوص، كما في انتقال أصحاب الجنة من جرس الثقة الهادئ في مطلع القصة إلى جرس الذهول المنكسر في حوارهم بعد الفجيعة "إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ"، حيث يرسم تتابع حروف العلة والمد رخاوةً صوتية توازي انكسارهم النفسي وفقدانهم الثقة التي كانوا عليها[38].

د. إبراز الحركة والانفعال: يسهم الصوت في تصوير الحركة الفيزيائية والانفعال المصاحب لها، كما في صوت الشين الصفيري المهموس المتكرر في "مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ" الذي يحاكي حركة المشي السريع المتسلل، وكما في تكرار صوت الطاء الانفجاري في مشهد "فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ" الذي يجسد حركة الطواف المفاجئة بالعذاب. وبذلك يتجاوز الصوت في سورة القلم وظيفته النطقية المجردة إلى وظيفة تصويرية حركية تشارك في بناء المشهد القرآني[39].

وخلاصة القول إن هذه الوظائف الأربع - التوكيد، والتحذير، والتصوير النفسي، وإبراز الحركة والانفعال - تتضافر لتؤكد ما ذهب إليه الدرس الأسلوبي الحديث من أن التعبير القرآني يختار من بين الصيغ المتاحة دلاليًا ما يطابق مقتضى الحال أدق مطابقة، وأن هذا الاختيار لا يقف عند حدود المفردة والتركيب، بل يمتد إلى اختيار الصوت ذاته[40] وهو ما يرشّح البنية الصوتية لأن تُعَدّ مستوى أصيلًا من مستويات التعبير القرآني، لا مستوى هامشيًا يُلحق بالدراسة البلاغية بعد استيفائها.

سابعًا: النتائج المتوقعة

ينطلق البحث من فرضية مركزية مفادها أن توزيع الأصوات في سورة القلم ليس عشوائيًا، بل يخضع لنسق دالٍّ يخدم المعاني المركزية للسورة. وفي ضوء هذه الفرضية، تتوقع الدراسة - استنادًا إلى الأدلة النصية والإحصائية التي قدمها التحليل السابق - النتائج الآتية:

1. وجود ترابط بين توزيع الأصوات والمعاني المركزية للسورة: يؤكده ما أظهرته الجداول (1-4) من ارتفاع نسبة الأصوات المجهورة (66.6%) في خطاب يقوم في جوهره على المواجهة والتوكيد، ومن تركّز الأصوات المستعلية النادرة إحصائيًا (5.5%) في مواضع الحسم والعقوبة تحديدًا، كما في تكرار

---

[37] حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سابق.
[38] حسان، البيان في روائع القرآن، مرجع سابق.
[39] Rozov (2019), op. cit.
[40] السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار، عمّان، ط2، 2006م، ص38-44.

صوت الطاء في مشهد "فطاف عليها طائف". وهذا التطابق بين النسبة الإحصائية للصوت وموقعه الدلالي دليل نصي قابل للتحقق لا انطباع ذوقي عام.

2. أن الإيقاع الصوتي يسهم في تعزيز الأثر الدلالي: يؤكده ما بيّنه قسم البنية الإيقاعية من أن الانتقال المفاجئ من فاصلة النون المهيمنة (80.8%) إلى فاصلة الميم النادرة (19.2%) يتزامن، في عشر مواضع كاملة، مع نقاط التحول الدلالي الكبرى في السورة (عظيم، بنميم، أثيم، زنيم، الخرطوم، كالصريم، النعيم، زعيم، مكظوم، مذموم)، وهو تطابق إحصائي تام بين موقع الانكسار الإيقاعي وموقع الذروة الدلالية، لا يمكن تفسيره بالمصادفة.

3. أن الفاصلة القرآنية ليست نهاية صوتية فقط بل عنصر بنائي للمعنى: يؤكده اضطلاع الفاصلة في السورة بثلاث وظائف متكاملة فصّلها المحور الخامس: تثبيت المعنى عبر اطّراد فاصلة النون، وتقوية الانفعال عبر انكسارها المفاجئ إلى الميم، وتوجيه المتلقي عبر اشتغال الفاصلة بوصفها علامة سمعية استباقية. وبذلك تنتقل الفاصلة من كونها وحدة صوتية ختامية شكلية إلى كونها عنصرًا فاعلًا في البناء الدلالي الكلي للنص، وهو ما يرشّح هذا المتغير لمزيد من الاختبار الكمي في سور قرآنية أخرى.

ثامنًا: الخاتمة والتوصيات

1. ملخص النتائج

توصل البحث، من خلال تحليله الكمي والكيفي للبنية الصوتية في سورة القلم، إلى جملة من النتائج المؤكَّدة بالدليل النصي والإحصائي معًا، أبرزها:

1. إن اختيار الأصوات في السورة يخضع لتناسب دقيق بين الصفة الصوتية للحرف (جهرًا وهمسًا، شدة ورخاوة، استعلاءً واستفالًا) والمعنى المراد، بحيث يسهم الصوت في تكثيف الدلالة لا في تزيين اللفظ فحسب.

2. تتركز الأصوات الانفجارية الشديدة في مقاطع الحسم والمواجهة والعقوبة المفاجئة، كما في مشهد "طاف عليها طائف"، بينما تتركز الأصوات الصفيرية في سياقات الوصف الدقيق والتسلل الخفي كالنميمة والوصم.

3. يؤدي التضعيف الصرفي المقترن بالتكرار الصوتي - كما في "حلّاف، همّاز، مشّاء" - وظيفة دلالية في التعبير عن المبالغة والاستمرارية في الفعل المذموم.

4. تكشف قصة أصحاب الجنة عن توظيف صوتي درامي متدرج، ينتقل من إيقاع هادئ مطمئن إلى انقلاب صوتي حاد يحاكي المفاجأة، ثم إلى جرس منكسر يلائم الندم.

5. يقوم نظام الفواصل في سورة القلم على هيمنة شبه تامة لصوت النون (80.8% من الآيات)، تقطعها فاصلة الميم في عشر آيات فقط تتركز في مواضع الذم والعقوبة والتهديد، فتعمل الفاصلة بذلك على تثبيت المعنى وتقوية الانفعال وتوجيه المتلقي.

6. يرتبط الاختيار الصوتي في السورة ارتباطًا مباشرًا بموضوعاتها الرئيسة الأربعة (تثبيت مكانة النبي، وصف أخلاق المكذبين، قصة أصحاب الجنة، مشاهد التهديد والجزاء)، ويخدم في كل موضوع منها وظائف دلالية محددة: التوكيد، والتحذير، والتصوير النفسي، وإبراز الحركة والانفعال.

2. التوصيات

أ. التأكيد على أهمية التكامل بين علم الأصوات والدلالة: أثبت هذا البحث أن الفصل المنهجي التقليدي بين علم الأصوات بوصفه دراسة نطقية فيزيائية، وعلم الدلالة بوصفه دراسة معجمية وسياقية، فصلٌ إجرائي لا يعكس طبيعة النص القرآني؛ ذلك أن البنية الصوتية فيه عنصر بنائي مكوِّن للدلالة لا تابع لها. ويوصي البحث بأن تتبنى الدراسات القرآنية اللاحقة منهجًا متكاملًا يجمع بين الإحصاء الصوتي الدقيق والتحليل الدلالي السياقي في إطار واحد، بدلًا من معالجة المستويين بمعزل أحدهما عن الآخر.

ب. اقتراح تطبيق المنهج على سور أخرى: يوصي البحث بتعميم الأداة المنهجية المستخدمة هنا - الجمع بين إحصاء تكرار الأصوات، وتصنيفها النطقي، ودراسة نظام الفواصل، وربط ذلك كله بالسياق الدلالي - على سور قرآنية أخرى ذات أغراض متنوعة، وبخاصة قصار السور المكية لما تتسم به من كثافة إيقاعية وصوتية تجعلها حقلًا خصبًا لاختبار صلاحية هذا المنهج وتعميم نتائجه، تمهيدًا لبناء قاعدة بيانات إحصائية صوتية دلالية شاملة للقرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن جني، أبو الفتح عثمان (1999). الخصائص (تحقيق محمد علي النجار). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2. ابن جني، أبو الفتح عثمان (1985). سر صناعة الإعراب (تحقيق حسن هنداوي). دار القلم.

3. ابن عاشور، محمد الطاهر (1984). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.

4. ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ). لسان العرب (ط3). دار صادر.

5. أنيس، إبراهيم (1971). الأصوات اللغوية (ط4). مكتبة الأنجلو المصرية.

6. أنيس، إبراهيم (1972). موسيقى الشعر (ط5). مكتبة الأنجلو المصرية.

7. أنيس، إبراهيم (1984). دلالة الألفاظ (ط5). مكتبة الأنجلو المصرية.

8. الجرجاني، عبد القاهر (1992). دلائل الإعجاز (تحقيق محمود محمد شاكر). مكتبة الخانجي.

9. حسان، تمام (2000). البيان في روائع القرآن (ط2). دار النهضة العربية.

10. حسان، تمام (2006). اللغة العربية معناها ومبناها (ط5). عالم الكتب.

11. الزمخشري، محمود بن عمر (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ط3). دار الكتاب العربي.

12. السامرائي، فاضل صالح (2006). التعبير القرآني (ط2). دار عمار.

13. سيبويه، عمرو بن عثمان (1988). الكتاب (تحقيق عبد السلام هارون، ط3). مكتبة الخانجي.

14. عمر، أحمد مختار (2007). دراسة الصوت اللغوي (ط4). عالم الكتب.

15. القرطبي، محمد بن أحمد (1964). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2). دار الكتب المصرية.

16. Hassan, K. A. (2023). Manifestations of the Sound Image in the Quranic Discourse. *Journal of Tikrit University for Humanities, 30*(11/1), 30-52. https://doi.org/10.25130/jtuh.30.11.1.2023.03

17. Qudissya, N. S. (2021). The Phonosemantics of the Sibilant Sounds of the Arabic and English Languages. *International Journal of Research in Social Sciences and Humanities, 11*(3), 427-455. https://doi.org/10.37648/ijrssh.v11i03.025

18. Rozov, V. A. (2019). Sound Symbolism in the Qur'an as a Reflection of the Ancient Arab Worldview (on the Example of Four-Consonant Roots). *Islam in the Modern World, 15*(4), 101-114. https://doi.org/10.22311/2074-1529-2019-15-4-101-114